الفصل الثانى: سادات الأولياء

أولاً: المرسلون والأنبياء عليهم السلام(١).

الرسول في اللغة اسم للمذكر والمؤنث وللواحد والجمع، كما يجمع أيضاً على رُسل وأَرْسُل والرسول من الملائكة من يبلغ عن الله، ومن الناس من يبعثه الله بشرع يعمل به ويبلغه أما النبى فى اللغة فأصله«النَّبِيء» [وتبدل الهمزة ياءً وتدغم فيقال: النبيّ] والاسم مشتق من النبأ وهو الخبر، وقد يكون اسم فاعل أو مفعول: بمعنى المخبِر الذى ينبىء الأمة بالأحكام والشرائع من الله عزوجل، أو المخبَر لإخبار جبريل عليه السلام له بالنبوة من الله عزوجل، وتجمع أنبياء(٢).

وفى الشريعة الرسول أخص من النبىّ فإنه إنسان أوحى إليه - عن طريق إرسال ملك أو إلهام أو رؤيا منام - ورؤيا الأنبياء حق سواء كان له كتاب أم لا - بشرع للعمل والتبليغ، أما النبىّ فهو إنسان أوحى إليه بشرع للعمل خاصة بمعنى أن يعمل به فى حق نفسه ولم يؤمر بتبليغه، وعلى هذا فكل رسولٍ نبى وليس كل نبى رسولا ، فالرسالة أفضل من النبوة لأن النبوة فيها تعلق بالخالق وانصراف عن الخلق، أما الرسالة ففيها التعلقان بالخالق والمخلوق فهى أعم وأشمل كما صرح به ابن حجر فى شرح الأربعين(٣). وقيل إن الرسول مختص بنزول جبريل عليه السلام، وقيل إنه مختص بشريعة خاصة بمعنى أنه ليس مأموراً بمتابعة شريعة من كان قبله (٤).

---

(١) عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قلتُ يا رسول الله كم وفىّ عدة الأنبياء؟ قال ﷺ: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرُسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً». [رواه أحمد فى المسند (٢٦٦/٥) كما روى ابن قتيبة فى المعارف عن وهب عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عدد الأنبياء ١٢٤ ألفاً منهم ٣١٥ رسولاً نزلت عليهم ١٠٤ كتاب كالآتى: ٥٠ صحيفة علي شيث و٣٠ صحيفة علي إدريس و٢٠ صحيفة علي إبراهيم والتوراة علي موسي والزبور علي داود والإنجيل على عيسى والقرآن على محمد ﷺ،

(٢) المعجم الوسيط.

(٣) حاشية الشيخ إبراهيم البيجورى (١ / ٢٦، ٢٧، ٢٨).

(٤) شرح المقاصد (٢٦٨/٣).

وتزعم بعض المذاهب الباطلة أنه لاحاجة لوجود نبى وأن الإنسان كان يكفيه عقله للاستدلال على طريق الإيمان ويرد البيهقى عليهم قائلا: حقاً إن العقل طريق الاستدلال ولكننا لا نستطيع بالمنطق التجريبى والرياضى التوصل إلى حقائق ما وراء المادة وهو ما يعرف بالغيب مثل العلم بذات الله وصفاته والآخرة والحساب وكل ذلك لايعرف إلا عن طريق الأنبياء الذين أطلعهم الله على الغيب بما ارتضى سبحانه وبالقدر الذى أراد لهم، قال تعالى:﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** ﴾(١) (٢).

الصفات الواجبة فيهم والخصائص التي تفردوا بها هي:

(١) أن يكون الرسول إنساناً حراً ذكراً كامل العقل قوى الرأى لكن الله عزوجل بعلمه الشامل وحكمته البالغة قد خص هؤلاء الصفوة من البشر بالنبوة والرسالة فهم أكملهم إيماناً وأخلاقاً وأكمل البشر أجساماً وأجملهم صورة قال تعالى ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾(٣) (٤).

(٢) اختصاصهم بالوحى والرسالة هذا يميزهم بأمور منها تكليم الله بعضهم ونزول الملائكة عليهم واطلاعهم على بعض الغيوب الماضية والمستقبلية بعلم الله وقد قسم ابن القيم مراتب وأقسام الوحى للرسول ﷺ إلى أقسام:

(أ) الرؤيا الصادقة وكانت بداية وحيه ﷺ قالت عائشة رضى الله عنها: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح(٥).

(ب) ما كان يلقيه الملك فى روعه وقلبه من غير أن يراه قال ﷺ: «إن

---

(١) الجن: ٢٦، ٢٧.
(٢) دلائل النبوة.
(٣) الأنعام: ١٢٤.
(٤) شرح المقاصد.
(٥) رواه البخارى فى صحيحه (بدء الوحى / ٣).

روح القدس نفث فى روعى إن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها». (١).

(ج) كان الملك أحياناً يتمثل له رجلاً يخاطبه وكان الصحابة يرونه أحياناً قالت عائشة رضى الله عنها إنه ﷺ قال:«وأحياناً يتمثل لى الملك رجلاً يكلمنى»(٢).

(د) كان يأتيه الوحى فى مثل صلصلة الجرس وكان أشد حالات الوحى عليه حتى أن جبينه ليتفصد(٣)عرقاً فى اليوم الشديد البرد وحتى أن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها ولقد جاء الوحى مرة كذلك وفخذه ﷺ على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها(٤) فعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: «أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال» (٥).

(هـ)أن يرى الملك فى صورته التى خلقه الله عليها فيوحى إليه ما شاء الله وقد حدث هذا للرسول ﷺ مرتين فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «فبينا أنا أمشى سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصرى قِبَل السماء، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض، فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلى فقلت زملونى زملونى، فزملونى، فأنزل الله يا أيها المدثر» (٦).

(و) ما أوحاه الله إليه وهو عند سدرة المنتهى ليلة المعراج وهى مرتبة لم

---

(١) رواه الطبرانى وأبو نعيم وابن أبى الدنيا.
(٢) رواه البخارى فى صحيحه (بدء الوحى / ٢)
(٣) تفصد جبينه عرقاً: تصبب عرقاً.
(٤) رضه: دقه وكسره والحديث رواه البخارى فى صحيحه عن زيد بن ثابت ورقمه (٤٥٩٢).
(٥) رواه البخارى فى صحيحه (بدء الوحى / ٢)، قال الخطابى : هو صوت متدارك يسمعه ولايثبته أو ما يسمعه حتى يفهمه، وقيل هو صوت خفق أجنحة الملك، والحكمة فى تقدم سماع هذا الصوت أن يفرغ سمعه للوحى فلا يبقى مكاناً لغيره .(الإتقان للسيوطى).
(٦) رواه البخارى فى صحيحه (٢/٧٣٣).

ينلها مخلوق قال تعالى :﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾(١).

(ز) أن يكلمه الله بلا وساطة ملك.

(٣) اختصاصهم بالمعجزات من الله تعالى.

(٤) العصمة أى أنه يكون مفطوراً على التنزه عن المذمومات كالكذب والخيانة مجبولاً على الصفات الطيبة من الصدق والأمانة والصبر والجهاد منزهاً عن كل ما يخل بالمروءة وكذلك السلامة من الأمراض المنفرة كالبرص والجذام والبعد عن العمل بالحرف الدنيئة، ويقول الشيخ التفتازانى: قد تقع منه صغائر الذنوب لكن الكبائر تمنع بعد البعثة مطلقاً (٢).

(٥) شرف النسب فيكون شريفاً فى قومه كقول النبى ﷺ:«إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم» (٣).

(٦) أن يكون فى منعة من قومه بالحسب أو المال أى أن تكون له عصبة وشوكة تمنع عنه أذى الكفار حتى يبلغ رسالة ربه ويتم مراد الله من إكمال دينه وملته .

(٧) تنام أعينهم ولاتنام قلوبهم فعن أنس رضي الله عنه فى حديث الإسراء:«والنبى نائمة عيناه ولاينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولاتنام قلوبهم(٤).

(٨) يخيرون عند الموت لقوله ﷺ:«ما من نبى يمرض إلا خُيِّر بين الدنيا والآخرة»(٥).

(٩) يُقبر النبى حيث يموت قال ﷺ: «لم يُقبر نبى إلا حيث يموت» (٦).

---

(١) النجم : ٨-١٠ . (٢) شرح المقاصد (٣/٣١٧) .
(٣) رواه مسلم فى صحيحه عن واثلة بن أسقع.
(٤) البخارى (مناقب / ٣٥٧٠).
(٥) ابن سعد فى الطبقات (١/١٧١).
(٦) رواه أحمد فى المسند وصححه الألبانى.

(١٠) لاتأكل الأرض أجسادهم قال ﷺ:«إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»(١).

(١١) لا يورثون بعد موتهم لقوله ﷺ:«لانورث ما تركنا صدقة»(٢).

الصفات الجائزة عليه التي يشترك فيها مع غيره.

١ـ فهي كونه بشراً مثلهم يجرى عليه ما يجرى عليهم من أكل وشرب ونكاح وموت لقوله تعالى:﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ**﴾(٣) وقوله تعالى:﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ . وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ**﴾(٤).

٢ـ يصيب النبى ما يصيب البشر من الأمراض والضر ويجرى له السهو والنسيان والنوم.

٣ـ يتعرضون للابتلاءات بل هم أشد الناس بلاءً.

٤ـ يقومون بأعمال البشر كالرعى والتجارة .

٥ـ عبادٌ لله ليس فيهم صفات أو خصائص الألوهية.

فقد اصطفى الله من عباده الرسل وأوحى إليهم بشرعه وعهد إليهم بإبلاغ رسالته إلى الناس لقطع حجتهم عليه فلا يقول أقوامهم ماجاءنا من نذير ﴿ **لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾(٥) قد أرسلهم الله بالبينات ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾(٦) وأمرهم بالدعوة إلى عبادته ليكشفوا ظلمات الجهل عن العقول ويخرجوا الناس من الظلمات إلى النور فمن أطاعهم فاز بالدنيا والآخرة ومن أعرض عن دعوتهم خسر خسراناً مبيناً، قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**(٧)﴾ (٨) وقال تعالى:﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ**

---

(١) رواه أبو داود فى سننه.
(٢) متفق عليه.
(٣) الكهف:١١٠ .
(٤) الأنبياء :٧، ٨ .
(٥) النساء:١٦٥ .
(٦) الحديد: ٢٥ .
(٧) الطاغوت : كل ما يعبد من دون الله.
(٨) النحل: ٣٦ .

النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(١) أنزلهم الله بدعوة واحدة وهى رسالة التوحيد من لدن آدم عليه السلام إلى أن ختم الله النبوة برسوله محمد ﷺ: قال تعالى:﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا . وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾(٢) .

فأفضل أولياء الله هم أنبياؤه وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم وأفضل المرسلين هم أولو العزم وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾(٣) وأفضل أولى العزم محمد ﷺ وفضائله وفضائل أمته كثيرة، فمنذ أن بعثه الله جعله الفارق بين أوليائه وأعدائه، فلايكون ولياً لله إلا من آمن به وبما جاء به واتبعه باطناً وظاهراً ومن ادعى محبة الله وولايته ولم يتبعه فليس من أولياء الله، بل إن من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان، قال تعالى:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾(٤) .

ثانياً: الصحابة:

لقد جعل الله لكل نبى أنصاراً وحواريين يؤيدونه وينصرونه ويعينونه على تحمل عبء الرسالة وكان من الطبيعى أن يصطفى الله لرسوله ﷺ خير صحبة من الناس لتكون جديرة بمؤازرة خير الرسل محمد ﷺ وهم الصحابة، والصحابى هو من لقى النبى ﷺ فى حياته مسلماً ومات على إسلامه(٥). وقد

(١) الأحزاب: ٧، ٨ .
(٢) النساء : ١٦٤ .
(٣) الشورى: ١٣ .
(٤) آل عمران: ٣١ .
(٥) ابن حجر فى الإصابة.

أخبر رسول الله ﷺ فى نفس عام وفاته أنه لن تنقضى مائة سنة وعلى الأرض واحدٌ من الصحابة فقال ﷺ: «أرأيتكم ليلتكم هذه، فإنه على رأس مائة سنةٍ منه لا يبقى أحدٌ ممن على ظهر الأرض» (١)(٢). وعلى هذا فلا يقبل من ادعى أنه له صحبة خارج إطار ذلك الزمن وذلك التعريف.

وقد اختار الله هؤلاء الصحابة وانتقاهم من خيرة الأمة وحباهم بصفات طيبة من حيث سلامة العنصر وصفاء الجوهر وسمو الأخلاق ما جعلهم أهلاً لحمل شريعته الخاتمة ونصرة نبيه(٣). ويقول ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾(٤): هم أصحاب محمد ﷺ اصطفاهم الله لنبيه ﷺ(٥). لهذا فالدفاع عن الصحابة يعد دفاعاً عن الكتاب والسنة وأصول الإسلام، كما يعد تقديراً لحكمة الله البالغة التى اقتضاها باختيارهم لهذه المهمة العظمى، والنيل منهم أو التشكيك فى قدرهم وأخلاقهم يعد غمزاً ولمزاً(٦) فى اختيار الله عزوجل - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - كما يعد هدماً للكتاب والسنة.

والصحابة قد زكّاهم(٧) الله تعالى وحكم بعدالتهم على الإطلاق بنصوص كتاب الله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾(٨) وقوله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ**

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه عن ابن عمر (١١٦) والبيهقى فى السنن والدلائل، والحاكم فى المستدرك والهندى فى كنز العمال.

(٢) آخر الصحابة موتاً هو أبو الطفيل عامر الليثى قال: رأيتُ رسول الله ﷺ وماعلي وجه الأرض رجل رآه غيرى. [رواه مسلم فى صحيحه].

(٣) ابن حجر فى الإصابة.

(٤) النمل: ٥٩ .

(٥) البغوى فى شرح السنة.

(٦) الغمز هو الطعن فى الشخص واللمز هو عيبه فى وجهه.

(٧) زكّاه: طهره.

(٨) الأنفال: ٧٤ .

الْعَظِيمُ﴾(١) وكما أفاض الله تعالى ذكرهم فى القرآن الكريم فقد ذكرهم وزكاهم من قبل فى التوراة والإنجيل فى قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٢).

وفى السنة المطهرة روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مُدَّ(٣) أحدهم ولا نصيفه»(٤)، وعن عمران بن الحصين رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «خير أمتى القرن الذى بُعثتُ فيهم(٥)، ثم الذين يلونهم(٦)، ثم الذين يلونهم»(٧).

فالحكم بصدق الصحابة وعدالتهم من الأمور الثابتة قطعاً التى لا تقبل الشك وهل بعد تزكية الله تعالى ورسوله ﷺ تزكية؟! فيجب علينا أن نحفظ قلوبنا وألسنتنا معهم ونكف عن ذكر مساويهم وما شجر بينهم وننشر فضائلهم وأياديهم ويقول أبو زرعة الرازى: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من الصحابة فاعلم أنه زنديق(٨) وذلك لأن الرسول ﷺ حق وما جاء به حق والصحابة هم نقلة سنته وشريعته، وهؤلاء الزنادقة يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب

---

(١) التوبة: ١٠٠ .
(٢) الفتح: ٢٩ .
(٣) مد: وحدة مكاييل قديمة.
(٤) رواه البخارى في صحيحه (٣٦٧٣) ومسلم فى صحيحه (٩٣/١٦) وأبو داود والترمذى (٣٨٦١) فى السنن.
(٥) أى الصحابة.
(٦) أى التابعين.
(٧) أخرجه مسلم في صحيحه والترمذى فى السنن (٢٢٢٢) عن عمران بن الحصين ، وأبو داود فى السنن وأحمد فى المسند(٧١٢٣) بإسناد صحيح والبيهقى فى السنن والطبرانى فى المعجم الكبير.
(٨) الزنديق: الضال الخارج عن الدين والزندقة هى اسم يطلق على الزاردشتية والمانوية وغيرها من الديانات الضالة، وتوسع فيه فأطلق على كل شاك أو ضال أو ملحد (المعجم الوسيط١/٤٠٣) .

والسنة فالجرح بهم أولى(١). وقال الإمام مالك: من انتقص أحداً من أصحاب النبى ﷺ فلا يدخل فى هذه القسمة ولا هذه الأصناف الثلاثة: ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾(٢): وهم المهاجرون، ثم قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾(٣): وهم الأنصار، ثم قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾(٤)(٥) نرجو الله أن نكون منهم - اللهم اجعلنا لهم إخواناً ومكّن فى قلوبنا حبهم والمضى على نهجهم وطريقهم.

والصحابة متفاوتون فى درجاتهم ومنازلهم فقد قسمهم العلماء إلى طبقات وفق الترتيب التالى: السابقون الأولون: وهم الذين صلوا إلى القبلتين، ثم أهل بيعة العقبة من المهاجرين ثم الأنصار ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٦)، ثم أهل بدر الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة»(٧). ثم أهل أحد ثم أصحاب بيعة الرضوان فى سنة ست من الهجرة وكان عدد المسلمين فيها ألفاً وأربعمائة أو ألفاً وخمسمائة، ثم من أسلم قبل الفتح ثم الذين من بعدهم لقوله تعالى: ﴿ **لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ** ﴾(٨)(٩)

---

(١) ابن حجر فى الإصابة وابن الجوزى فى صفة الصفوة.
(٢) الحشر: ٨ .
(٣) الحشر: ٩ .
(٤) الحشر: ١٠ .
(٥) ابن حجر فى الإصابة والقاضى عياض فى الشفا.
(٦) التوبة: ١٠٠ .
(٧) رواه البخارى فى صحيحه وأبو داود فى سننه والهيثمى فى الزوائد (٩/١٦٠).
(٨) الحديد: ١٠ .
(٩) الحكمى فى أعلام السنة.

ويقول ابن حجر في الإصابة أن الأشهر فى التقسيم ما ذهب إليه الحاكم حيث قسمهم اثنتى عشرة طبقة وفق الترتيب التالى: من تقدم إسلامهم بمكة ـ الذين أسلموا قبل تشاور أهل مكة بدار الندوة(١) ـ مهاجرو الحبشة ـ أصحاب العقبة الأولى ـ أصحاب العقبة الثانية ـ المهاجرون الذين أدركوا النبى ﷺ بقباء قبل أن يدخل المدينة ـ أهل بدر ـ الذين هاجروا بين بدر والحديبية ـ أهل بيعة الرضوان ـ الذين هاجروا بين الحديبية وفتح مكة كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ـ الذين أسلموا فى فتح مكة ـ الصبيان الذين رأوا النبى ﷺ يوم الفتح وحجة الوداع. هذا التقسيم على وجه العموم، أما على وجه التفصيل فإن أفضل الصحابة هو أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضى الله عنهم لقول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: كنا فى زمن النبى ﷺ لا نعدل بأبى بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبى ﷺ لا نفاضل بينهم(٢). ويأتى بعدهم علىٌ بن أبى طالب، ثم باقى العشرة المبشرين بالجنة لما رواه سعيد بن زيد عن رسول الله ﷺ: عشرة فى الجنة: أبو بكر فى الجنة وعمرفى الجنة ، وعثمان، وعلى، والزبير ، وطلحة، وعبد الرحمن، وأبو عبيدة، وسعد بن أبى وقاص، قال: فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر، فقال القوم: ننشدك الله يا أبا الأعور من العاشر؟ قال: نشدتمونى بالله، أبو الأعور فى الجنة»(٣).

ويقول الشيخ الحكمى: إن للصحابة فضائل كثيرةلا تحصى حيث قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتى أبو بكر، وأشدها فى دين الله عمر، وأصدقها حياءً

---

(١) عقد اجتماع دارالندوة بعد شهرين من بيعة العقبة الكبري فى العام ١٤ من النبوة حضرها نواب قبائل قريش وحضره إبليس فى هيئة شيخ نجدى واقترح عليهم قتل النبى ونال رأيه إجماع المشركين.

(٢) رواه البخارى فى صحيحه.

(٣) رواه الترمذى فى السنن (٣٧٤٨)، وأبو داود فى سننه والحاكم فى المستدرك والهندى فى كنز العمال.

عثمان، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرؤها لكتاب الله عز وجل أبى(١)، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجرَّاح»(٢). ولا يعنى إثبات فضيلة لأحدهم أن يكون أفضل من الآخرين فى كل الصفات إلا الخلفاء الأربعة فهم مفضلون على غيرهم بإجماع آراءعلمـــاء الدين(٣). فالصحابة هم أهل ولاية الله وفضله وكرامته الذين اختارهم الله لصحبة خير مبعوث للعالمين محمد ﷺ، وجعلهم من خير هذه الأمة ليصلحوا لهذا الشرف الرفيع الذى لا يصلح له سواهم.

●●●

(١) هو أبى بن كعب رضى الله عنه.

(٢) رواه الترمذى عن أنس (٣٧٩٠) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة فى سننه وأحمد فى المسند(١٢٨٣٩) وإسناده صحيح والحاكم فى المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) الحكمى فى أعلام السنة.